

مقدمة المؤلف

... وعلى آله وصحبه أجمعين. عندنا مقدمة في تفسير القرآن لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أجمل فيها بعض القواعد، وبعض الأصول التي يعرف بها مكانة القرآن، ويعرف بها كيفية تفسير القرآن، ويكون طالب العلم على معرفة بكيفية التفسير. معلوم أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يهتمون بالقرآن قراءة وتفسيرها. فكانوا يتعلمون القرآن، ويتعلمون تفسيره ومعانيه جمياً. وكانوا مع ذلك يفسرونه لمن بعدهم. ومع أنهم فصحاء، يعرفون اللغة، نزل القرآن بلغتهم، فإنهم مع ذلك يحرصون على معرفة ما دل عليه، على معرفة دلالاته. ويفسرون ذلك أيضاً لتلاميذهم ومن جاء بعدهم. كل ذلك من الاهتمام بما دل عليه القرآن. يقول شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللسامعين. قال المصنف رحمه الله تعالى: الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصلى الله وسلم عليه تسليماً كثيراً. أما بعد: فقد سألني بعض الإخوان أن أكتب لهم مقدمة تتضمن قواعد كلية تعين على فهم القرآن، ومعرفة تفسيره ومعانيه، والتمييز في منقول ذلك، ومعقوله بين الحق، وأنواع الأباطيل. والتبيين على الدليل الفاصل بين الأقاويل. فإن الكتب المصنفة في التفسير مشحونة بالغث والثمين، وبالباطل الواضح، والحق المبين. والعلم إما نقل مصدق عن معصوم، وإما قول عليه دليل معلوم. وما سوى هذا فإما مزيف مردود، وإنما موقوف لا يعلم أنه بهرج ولا منقود. وجاجة الأمة ماسة إلى فهم القرآن الذي هو حبل الله المtin، والذكر الحكيم، والصراط المستقيم. الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يخلق على كثرة الترديد، ولا تنقصي عجائبه، ولا يشيع منه العلماء. من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، ومن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلله الله. قال تعالى: {فَإِنَّمَا يَأْتِيُكُمْ مِنْ هُدًى فَمَنْ أَبْيَغَ هُدًى فَقَلَّ مَنْ يَضْلِلُ وَلَا يَشْقَى وَمَنْ أَغْرَى عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنِّكاً وَبَخْسِرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتَ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَكُ أَيَّاً نَّاهِيَةً فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى } . وقال الله تعالى: { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ تَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ أَتَيَّ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامَ وَبِحُرْجِهِمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَيَّ النُّورِ يَأْتِيهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ } . وقال تعالى: { الرِّكَابُ أَنْزَلَنَا إِلَيْكُمْ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْتِنَ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ } . وقال تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكُمْ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَلِكِيَّتِنَا مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ } . وقد كتب هذه المقدمة مختصرة بحسب تيسير الله تعالى من إملاء الفؤاد، والله الهادي إلى سبيل الرشاد. فصل. سمعنا أنه رحمه الله ابتدأ هذه المقدمة بخطبة الحاجة المشهورة التي رواها ابن مسعود وغيره. إذ كان صلى الله عليه وسلم يقول: { إن كان لأحدكم حاجة فليقل: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ... } إلى آخره، في هذه الخطبة الثناء على الله تعالى، وكذلك العبادة. من العبادة الاستعانة والاستغفار. من العبادة الاستعاذه بالله من شرور الأنفس، وسيئات الأعمال. من الثناء على الله تعالى أنه لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدى. كذلك أيضاً الشهادة لله تعالى بالوحدانية ولنبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة. كذلك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم.